

لماذا تهتم الصين بشأن تركستان الشرقية (شينجيانغ)

(مترجمة)

إن تمادي الصين في قمع المسلمين هو أمر لم يسبق له مثيل في جميع أنحاء العالم. وقد شهد العام الماضي موجة من التقارير وأشرطة الفيديو تظهر أن مسلمي الإيغور محتجزون في معسكرات في أنحاء غرب الصين. ومع تصاعد الضغط في وسائل الإعلام الغربية التي لها سياستها الخاصة، اضطرت النظام الصيني أن يعترف بالواقع المظلم:

تم بناء جزيرة من معسكرات الاعتقال، هكذا نقلت وكالة أنباء شينخوا الصينية الرسمية في 13 تشرين الأول/أكتوبر 2018، عن مسئول أن "التزمت" في الدين يجب أن يتم التخلص منه. على الرغم من صعود الصين الاقتصادي العجيب، فقد ناضلت مع هذه المنطقة المضطربة، ولكن أهميتها للصين ليست استراتيجية فحسب بل هي وجودية.

تقع منطقة شينجيانغ ذاتية الحكم التي يحكمها الإيغور في شمال غرب الصين وتمتد على مساحة تزيد عن 1.6 مليون كيلومتر مربع. وتمثل المنطقة سدس الأراضي الصينية وتحدها ثمانية بلدان. اليوم تعد شينجيانغ موطناً لحوالي 21 مليون شخص ينتمون إلى ثلاث عشرة مجموعة عرقية مختلفة، وأكبرها هم مسلمو الإيغور. كانت شينجيانغ قناة تاريخية ومركزاً للتبادل الاقتصادي والثقافي بين الشرق والغرب، وأصبحت شينجيانغ جزءاً مهماً من طريق الحرير. وقد شهد نحو الإمبريالية الأوروبية في القرن التاسع عشر التوسع في الإمبراطوريتين الروسية والبريطانية إلى آسيا الوسطى. حيث زادت روسيا الإمبراطورية نفوذها على طول الحدود الشمالية للصين خلال القرن التاسع عشر ونتيجة لذلك جلبت أسرة تشينج المنطقة تحت سيطرتها وأسست شينجيانغ كمقاطعة صينية رسمية في عام 1884. لكن الإدارة واجهت مقاومة مستمرة من السكان المسلمين وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر، عندما واجهت تشينج الصين حروب الأفيون والتمرد الداخلي الذي لا نهاية له والتدخل الأجنبي، لذا لم تتمكن من الحفاظ على وجود عسكري قوي في شينجيانغ. كما أدى انهيار أسرة تشينج في عام 1911 إلى تلاشي السيطرة الصينية على شينجيانغ عملياً. وتطلب الأمر من ماو تسي تونغ في عام 1949 إلغاء استقلال الإقليم وإلحاقه بجمهورية الصين. وفي هذه المناسبة حاول ماو تفرغ المنطقة من سكانها المسلمين عن طريق إعادة توطين المناطق قسراً وإعادة توطين الصينيين الهان في المنطقة المضطربة. هذه السياسة التي ما زالت سارية المفعول حتى اليوم فشلت إلى حد كبير وهي التي بلغت ذروتها في أعمال الشغب في أورومكي في عام 2009.

تمثل منطقة شينجيانغ واحدة من أربع مناطق عازلة للصين. هذه المناطق العازلة تحمي قلب الصين التي يقطنها الهان. وينقسم قلب الأراضي الصينية إلى جزئين شمالي وجنوبي، ويمثلهما بدوره لهجتان رئيسيتان هما الماندرين في الشمال والكانتونية في الجنوب. يتم تعريف قلب الصين من خلال نهرين رئيسيين - النهر الأصفر في الشمال ونهر اليانغتسي في الجنوب. هذا القلب هو المنطقة الزراعية في الصين. لا ينتشر سكان الهان بالتساوي في جميع أنحاء الصين. يتركز السكان في الشرق لأن غرب الصين لديها كمية قليلة من الأمطار ولا يمكنها المحافظة على عدد كبير من السكان. وبالتالي، فإن الصين بلد ضيق نسبياً، وفيه عدد كبير من السكان. تحيط حلقة من المناطق غير الهانية بهذا القلب - التبت ومقاطعة شينجيانغ ومنغوليا الداخلية ومنشوريا. هذه هي المناطق العازلة التي كانت تاريخياً تحت الحكم الصيني عندما كانت الصين قوية وكسرت عندما كانت الصين ضعيفة أو تم استخدامها من قبل قوى أجنبية للتدخل في عمق الصين. هذه هي المناطق التي نشأ فيها التهديد التاريخي للصين. ولكن بصرف النظر عن توفير المخازن المؤقتة، فإن هذه الممتلكات توفر حدوداً يمكن الدفاع عنها للصين. لذلك فإن شينجيانغ واحدة من أربع مناطق حيوية بالنسبة لسلامة الصين الإقليمية.

لقد كانت المعجزة الاقتصادية في الصين متوقفة على الوصول إلى الطاقة والسلع. إن منطقة شينجيانغ هي منطقة حرجة تحتاج إلى تغذية الآلة الاقتصادية في الصين، كما أنها تتمتع بموقع استراتيجي كطريق للإمداد. تحتوي شينجيانغ على أكثر من 20٪ من موارد الفحم والغاز الطبيعي والنفط في الصين، وتتمتع شينجيانغ بأكبر تجمع لاحتياطيات الوقود الأحفوري في أي منطقة في البلاد. تعتبر حقول النفط في كاراماي واحدة من أكبر الحقول في الصين، ولدى المنطقة رواسب واسعة من الفحم والفضة والنحاس والرصاص والنترات والذهب والزنك. وتعد شينجيانغ أكبر منطقة منتجة للغاز الطبيعي في الصين، وهي بمثابة طريق مهم للتجارة وخطوط الأنابيب إلى منطقة آسيا الوسطى وما وراءها. كما تعد شينجيانغ جزءاً من سعي الصين لتنويع مصادرها النفطية حيث إن المنطقة هي أيضاً طريق عبور رئيسي. إن شينجيانغ هي المنطقة الوحيدة في الصين التي تجاور جمهوريات آسيا الوسطى، حيث يتعين على نفط آسيا الوسطى (ونسبة كبيرة من النفط الروسي) أن يدخل شبكة خط الأنابيب الصينية من شينجيانغ. كان أول خط أنابيب نفط وطني تم إنشاؤه لهذا الغرض هو خط أنابيب النفط الصينية الكازاخستانية المحدودة التي بدأت ضخ النفط في تموز/يوليو 2006. يبدأ خط الأنابيب هذا في أتاسو بشمال غرب كازاخستان، ويدخل إلى إقليم شينجيانغ في ألاسكو على الحدود الكازاخستانية الصينية وينتهي في بروتوشاينا دوشانزي. في حين إن شينجيانغ أضاعت معجزة الصين، فقد غدت الصين حرفياً، ولهذا السبب فهي منطقة ذات أهمية استراتيجية.

شهدت الصين صعوداً اقتصادياً في إنشاء المناطق الاقتصادية الخاصة على المناطق الساحلية في الصين حيث تم تصنيع السلع للعبور إلى العالم عبر المحيطات. إن المشكلة التي تعاني منها الصين هي أن اقتصادها يعتمد على الطرق البحرية، لكن الصين ليس لديها جيش قادر على تأمين خطوط الإمداد البحرية هذه. هذا لأن البحرية الأمريكية تسيطر على محيطات العالم، وأي حصار على الجزر الصغيرة الكثيرة المحيطة بالصين في المنطقة سيؤدي إلى شل اقتصادها. هذا هو المكان الذي تدخل فيه شينجيانغ إلى الصورة لأنها كانت تاريخياً الطريق البري الرئيسي للصين إلى العالم. يوفر غرب الصين وصولاً موسعاً إلى بحر العرب عبر باكستان، وإلى المحيط الهندي والخليج الفارسي. تستطيع الصين الوصول إلى باكستان وآسيا الوسطى والشرق الأوسط وكل أوروبا وآسيا عبر شينجيانغ وموارد النقل البري وتجنب الاعتماد المفرط على الطرق البحرية الضعيفة. ولهذا السبب سيكون لدى مبادرة الحزام والطريق الضخمة في الصين أقسام متعددة تمتد عبر شينجيانغ لربط البلد بأكمله بأوراسيا وما وراءها. وبهذه الطريقة أصبحت شينجيانغ شيئاً من العمود الفقري الجغرافي للتوصيل الاقتصادي عبر أوراسيا. تعد هذه المبادرة بأكملها ذات تداعيات هائلة على العلاقات التجارية للصين والتأثير العالمي، وفي قلب هذا هو شينجيانغ. للأسباب الاستراتيجية والاقتصادية والتجارية والديموغرافية والسياسية تمثل شينجيانغ قضية وجود للصين. لكن على الرغم من إلقاء الكثير من الأموال في المنطقة وفي الماضي باستخدام القبضة الحديدية، إلا أنها فشلت في كسب المسلمين في المنطقة. في حين إن وسائل الإعلام الغربية قد اكتشفت الآن ما تقوم به الصين، فإن تكتيكات بكين تتبع خطا الغرب التي لديها استراتيجيات مماثلة للتعامل مع سكانها المسلمين، الذين ناضلوا طويلاً من أجل الاندماج. لقد فشلت هذه التكتيكات في الغرب وستفشل على الأرجح في الصين. والقضية المحبطة بالنسبة لزعماء الصين هي أن مستقبلها الاقتصادي والسياسي يمر عبر منطقة يسكنها المسلمون الذين تقائلهم بكين منذ أكثر من قرن.

كتبه لإذاعة المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

عدنان خان